هذه هي أمريكا أيضًا.. العنف السياسي متأصل في ثقافتها

كتبه جوليان إيزيليزر | 17 يوليو ,2024

ترجمة وتحرير: نون بوست

كانت محاولة اغتيال الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بمثابة صدمة للأمة.

فبينما كان يتحدث في تجمع حاشد في بتلر بولاية بنسلفانيا بعد ظهر يوم السبت 13 تموز/ يوليو، أطلق رجل يبلغ من العمر 20 سنة النار على ترامب، لكن الرصاصة خدشت أذن ترامب مما أدى إلى نزيف قبل أن ينحني الرئيس السابق تحت المنصة محاطًا بعملاء الخدمة السرية. أصرّ على الوقوف بينما كان رجال الأمن يحمونه، ورفع قبضته في الهواء وصرخ في وجه الحشد قائلاً: "قاتلوا!". وقد قُتل رجل إطفاء وأحد الحاضرين في التجمّع يدعى كوري كومبيراتوري الذي ارتمى على أسرته لحمايتهم من إطلاق النار.

استقطب الحادث المروّع إدانة قوية من مختلف الأطياف السياسية. قال الرئيس الأمريكي جو بايدن: "لا مكان في أمريكا لهذا النوع من العنف. إنه أمر مقزز – إنه مقزز". وسرعان ما تحوّلت أعمال العنف إلى لحظة دعا فيها السياسيون والنقاد إلى التهدئة والتراجع عن الاستقطاب السام الذي ترك الأمريكيين منقسمين بمرارة. وقد أعربت صحيفة نيويورك تايمز في افتتاحيتها عن أسفها

قائلة: "العنف يصيب الحياة السياسية الأمريكية بالعدوى". وقال بايدن في تصريحاته في اليوم التالي: "هذا ليس ما نحن عليه كأمة".

ولكن هل هو كذلك؟ تقلل الكثير من ردود الفعل من أهمية العنف المتفشي في تاريخ الولايات المتحدة. وعلى الرغم من أن أيديولوجية الاستثناء الأمريكي تدفع الأمريكيين إلى الاعتقاد بأن بلدهم مختلف جوهريًا عن الدول الأخرى التي عانت من هذا النوع من الأحداث، إلا أن الحقيقة هي أن الولايات المتحدة لديها تاريخ طويل ودنيء من الناس الذين يحاولون حل الخلافات السياسية باستخدام الرصاص بدلًا من صناديق الاقتراع.

إن العنف هو أحد الأسباب التي جعلت النظام الانتخابي الأمريكي هشًا للغاية على الدوام. لقد تطلّب الأمر جهودًا بطوليّة للحفاظ على الجمهورية التي حذر بنجامين فرانكلين، أحد الآباء المؤسسين للبلاد، من ضرورة رعايتها وحمايتها.

إن المنظور الشائع بأن العنف غير أمريكي بطريقة ما يغفل نقطة أساسية. إن تطبيع الخطاب العنيف في السنوات الأخيرة خطير للغاية ليس لأنه يشكل منعطفًا جديدًا جوهريًا في الديمقراطية الأمريكية، وإنما لأنه يستغل تاريخًا متجذرًا بعمق يتجاهله الأمريكيون على مسؤوليتهم الخاصة.

لقد شهدت الولايات المتحدة للأسف مقتل العديد من القادة السياسيين والرؤساء والمرشحين البارزين. فالثمن الذي دفعه الرئيس أبراهام لينكولن لمحاولته الحفاظ على الاتحاد وإنهاء العبودية كان اغتياله على يد جون ويلكس بوث في 14 نيسان/ أبريل 1865 في واشنطن العاصمة. وفي تموز/ يوليو 1881، أطلق تشارلز غيتو النار على الرئيس جيمس غارفيلد الذي توفي في أيلول/ سبتمبر. ولم تكد الأمة تلتقط أنفاسها قبل أن يقتل فوضوي يُدعى ليون تشولغوش الرئيس ويليام ماكينلي في سنة 1901. وكان الأمريكيون يشعرون بالحزن بشكل جماعي بعد أن اغتال لي هارفي أوزوالد الرئيس جون كينيدي في تشرين الثاني/ نوفمبر 1963.

ولا يشمل إحصاء هؤلاء القادة الأربعة المقتولين العديد من محاولات الاغتيال الجدية التي باءت بالفشل، مثل محاولة اغتيال الرئيس فرانكلين روزفلت في شباط/ فبراير 1933 على يد تاجر عاطل عن العمل يدعى جيوسيبي زانغارا. ونجا الرئيس جيرالد فورد من محاولتي اغتيال في غضون أسابيع في سنة 1975. وكادت حياة الرئيس رونالد ريغان أن تنتهي على يد جون هينكلي جونيور في آذار/ مارس 1981. وعلى غرار ترامب، تمكّن ريغان من إدارة الأزمة لصالحه حيث قلّل ريغان وفريقه من خطورة الجرح، وتبادل هو وفريقه النكات للتأكيد على المثابرة، مثل قوله للجرّاحين "أتمنى أن تكونوا جميعًا جمهوريين".

كان المرشحون للرئاسة أهدافًا للاغتيالات أيضًا. ففي 14 تشرين الثاني/ أكتوبر 1912، أطلق جون شرانك النار على الرئيس الجمهوري السابق تيدي روزفلت، الذي كان مرشحًا عن حزب ثالث، أثناء تجمع انتخابي أثناء حملته الانتخابية. وأنقذت علبة النظارات المصنوعة من المعدن والنص السميك لنسخة خطابه في جيبه حياته على الرغم من أن الرصاصة اخترقت صدره. ورفض روزفلت الذهاب إلى المستشفى وبدلاً من ذلك استمر في إلقاء خطابه. وقال روزفلت: "لا أعرف ما إذا كنتم تفهمون

تمامًا أنني قد أصبت للتو بطلق ناري، لكن الأمر يتطلب أكثر من ذلك لقتل ثور الموظ!".

يتذكّر معظم جيل طفرة المواليد حادثة قتل السيناتور روبرت كينيدي بعد فوزه في الانتخابات التمهيدية في كاليفورنيا في حزيران/ يونيو 1968، على يد سيرهان سيرهان في فندق أمباسادور في لوس أنجلوس. وبعد ذلك بأربع سنوات، أصيب حاكم ولاية ألاباما جورج والاس، الذي اشتهر بمعارضته الشديدة للاندماج العرقي، بشلل جزئي بسبب إصابته برصاصة أثناء ترشحه للرئاسة في سنة 1972.

طال العنف كذلك الكابيتول هيل. فقد كتبت المؤرخة جوان فريمان من جامعة ييل أن العنف في الكونغرس قبل الحرب الأهلية كان أمريكيًا مثل فطيرة التفاح. وأخذت فريمان القصة الكلاسيكية للنائب المؤيد للعبودية في ساوث كارولينا، بريستون بروكس، الذي ضرب السيناتور تشارلز سومنر من ولاية ماساتشوستس بالعصا، وكشفت أنها لم تكن حالة شاذة. فبحلول خمسينيات القرن التاسع عشر، كان أعضاء مجلسي النواب والشيوخ يأتون إلى العمل مسلحين ومحملين بالأسلحة، وكثيرًا ما كانوا ينخرطون في صراع جسدي في طوابق المجلسين مع تصاعد التوترات حول العبودية. وثّقت فريمان أكثر من 70 عملاً من أعمال العنف بين أعضاء الكونغرس في الفترة المتوترة بين سنتي 1830 و1860.

كما استخدم المدنيون العنف ضد المشرعين. فقد قتل رجل يدعى كارل فايس عضو مجلس الشيوخ عن ولاية لويزيانا هيوي لونغ، المرشح المحتمل للرئاسة، في سنة 1935. وفي 8 كانون الثاني/ يناير 2011، أصيبت النائب الديمقراطية عن ولاية أريزونا غابرييل غيفوردز بجروح بالغة بعد إطلاق النار عليها في توسون، وقُتل أحد موظفيها وخمسة آخرون. وفي سنة 2017، أصاب رجل يبلغ من العمر 66 سنة يُدعى جيمس هودجكينسون زعيم الأغلبية في مجلس النواب ستيف سكاليس بجروح خطيرة أثناء التدريب على مباراة البيسبول السنوية في الكونغرس. وحتى أفراد الأسرة يمكن أن يصبحوا ضحايا، كما حدث مع زوج رئيسة مجلس النواب السابقة نانسي بيلوسي، بول بيلوسي، في منزله عندما ضربه أحد أصحاب نظريات المؤامرة ديفيد ديبابي في تشرين الأول/ أكتوبر 2022.

على المستوى الوطني، لم يقتصر العنف على السياسيين. فقد فقدت الولايات المتحدة أيضًا قادة العديد من الحركات على طول الطريق. واشتعلت شوارع المدن بعد مقتل زعيم الحقوق المدنية مارتن لوثر كينغ جونيور في ممفيس في نيسان/ أبريل 1968، وقبل ذلك بثلاث سنوات قُتل مالكوم إكس أيضًا.

شهدت الولايات المتحدة أيضًا عنفًا انتخابيًا هائلاً على المستوى المحلي. فقد كان نظام جيم كرو الجنوبي نظامًا سياسيًا كان العنف المؤسسي فيه ضروريًا لحرمان الأمريكيين السود من حق التصويت. وفي ولايات مثل ولاية ميسيسيبي، أدرك السكان السود أنهم يواجهون خطرًا هائلًا عندما يسافرون إلى المحكمة في محاولة للتسجيل للتصويت. كما قُتل زعيم آخر من زعماء حركة الحقوق المدنية، وهو الأمين الميداني للجمعية الوطنية للنهوض بالملونين ميدغار إيفرز صاحب الشخصية الكاريزمية والملهمة، خارج منزله في 12 حزيران/ يونيو 1963. وقال تي آر هوارد، وهو جراح وقائد في مجال الحقوق المدنية، في تأبين إيفرز "على مدى 100 سنة، أدرنا لهم خدًا تلو الآخر. وقد استمروا

في ضربنا على كلا الخدين، وقد سئمت الآن من الأذى في صمت".

يُصادف هذه السنة أيضًا الذكرى السنوية الستين لصيف الحرية في ميسيسيبي حيث قُتل ثلاثة من الناشطين في مجال الحقوق المدنية – جيمس تشاني وميكي شويرنر وأندرو غودمان – على يد جماعة كو كلوكس كلان ومسؤولي الشرطة المتحالفين معهم لأنهم كانوا يشاركون في تعبئة حقوق التصويت التي ألهمت الشباب في جميع أنحاء العالم. وشعر الكثير من سكان البلاد، بمن فيهم الرئيس ليندون جونسون، بالرعب بعد سنة في 7 آذار/ مارس 1965 الذي يُطلق عليه الآن "الأحد الدامي"، عندما هاجمت الشرطة والغوغاء البيض بوحشية نشطاء الحقوق المدنية غير العنيفين الذين كانوا يسيرون من سيلما إلى مونتغمري لدعم تشريع حقوق التصويت. وقد التقط المصورون الصور المروعة عندما كسرت القوات جمجمة جون لويس، أحد قادة لجنة التنسيق الطلابية اللاعنفية وعضو الكونغرس المستقبلي.

في 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 1978، أطلق دان وايت، وهو عضو سابق في مجلس المشرفين في سان فرانسيسكو، النار على العمدة جورج موسكون والمشرف هارفي ميلك الذي أصبح شخصية بطولية في مجتمع المثليين. ومنذ انتخابات سنة 2020 المضطربة التي بلغت ذروتها بمحاولة التمرد في مبنى الكابيتول الأمريكي في 6 كانون الثاني/ يناير 2021، أفاد 40 بالمائة من المشرعين في الولاية الذين استطلع مركز برينان للعدالة آراءهم بتلقيهم تهديدات.

تتمتّع الولايات المتحدة بالعديد من الخصائص الرائعة، والعنف أحدها. وكما كتب المؤرخ ريتشارد سلوتكين في أعماله الكلاسيكية حول هذا الموضوع، لطالما كانت الأساطير العنيفة متأصلة بعمق في الثقافة الأمريكية. وفي الآونة الأخيرة، تتبّع المؤرخ ستيفن هان التأثير القوي الذي خلفته التوجيهات المعادية لليبرالية، والذي شمل العنف الانتخابي، منذ تأسيس البلاد.

لا ينبغي لأي من هذا التاريخ المقلق أن يتجاهل المخاطر الناجمة عن التصاعد الحقيقي للعنف والتهديدات العنيفة التي واجهها المسؤولون الحكوميون في السنوات الأخيرة، التي وصلت إلى المسؤولين المنتخبين والقضاة وحتى العاملين في مراكز الاقتراع. إن الأجواء الحالية هي في الواقع أجواء خطرة للغاية. ومجرد أن الظروف كانت سيئة في الماضي أمر لا يبعث على الارتياح في الوقت الحالي.

مع ذلك، يجب أن يرسل التاريخ تحذيرًا قويًا بشأن مخاطر السياسيين وغيرهم ممن يستخدمون الخطاب العنيف. والواقع أن هذا التحذير كثيرًا ما وُجّه لترامب، سواء عندما كان رئيسًا أو بعده، بشأن استعداده لتحريض الحشود. وتستفيد هذه الدعوات للتحرك من عنصر خبيث في الثقافة الأمريكية غالبًا ما يكون موجودًا تحت السطح. وينبغي أن تكون محاولة قتل ترامب تذكيرًا مخيفًا بمدى سهولة قيام بعض الأمريكيين بإثارة تقليد قاتل. لقد رأى الأمريكيون هذه البشاعة مرات عديدة من قبل وتصرفوا وكأن هذا لا يحدث عادةً هنا، لكنه يحدث بالفعل.

المصدر: فورين بوليسي